Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

معظم قصائد الرجل وأبياته . ومن الأمثلة الباسمة على هذا ما قاله دعبل في جارية أزعجته فباتت بعد قوله منكودةً تعيسةً فضيحةً :

رأيت « غـزالاً » وقـد أقبلت فـأبـدت لعينيَّ عن مبصقـة
قـصيـرة الـخلق دحـداحـة تدحرج في المشي كالبندقة[٣١]

أو قوله :

شـبهـتهـا لـمَّـا تغنَّت لـهم بنعجةٍ قد مَضَغَتْ صـوفا[٣٢]

ولعلَّ بالامكان ، إذا ما سعى المرء إلى استخلاص مزايا الهجاء عند دعبل أن يربطها جميعاً بالتزامه بالفكر الشعبي ، والطبع الشعبي ، والذوق الشعبي . وفي شعره انعكاس ذاتـه في هجائـه . والتفكير الشعبي ، كمـا هو معلوم ، لا يمكنه الانفصال عن البعد الذاتي ، وفيه الافحاش والإقذاع والسباب والشتائم ؛ وهذه أمور من صفات التصرف الشعبي عادة وقت سيطرة الفكر الانفعالي ، ولا يبقى من مجـال للرويَّة في التعبيـر . وفيه ، إضـافـة إلى كـل هـذا ، التعـالي والكبرياء ، وهذان من سمات ابن الشعب الذي لا يرضى ذلاً ولا هواناً .

أما إذا انتقل المـرء إلى نظرة في سـائر مـوضوعـات دعبل ، فإن الحال ، في بعده الشعبي ، لا يختلف على الاطلاق عَمَّـا سبق ؛ ولكن مع اعـطاء كل مجال حقه . فدعبل الهجَّاء الشعبي الغاضب ، هو أيضاً دعبـل صاحب الـرثاء الشعبي الذي يستوعب الذات ويقودها إلى ذرف العبرات الصادقة . وإن كان قد مـال إلى السخريـة والفحش والتعالي في هجـائه الشعبي ، فهـو ، كما ، ابن الشعب ، يميـل إلى عمق العاطفـة الإنسانيـة والسعي إلى المقـابلة والتفصيـل والإجمال ثم إلى التأثر بالتراث في رثائه . فالرثاء حزن ، والحزن عاطفة جيَّاشة تميل إلى الشفافية ، ومع الشفافية لا بدَّ من إذكاء البعد الإنساني ، ولا بـدَّ من الربط بالماضي الذهبي الذي يهدده خطر الزوال . وفي هذا المجال تُذْكَرُ تائية دعبل الرائعة في آل البيت والتي منها :

مَـدَارِسُ آيـاتٍ خَـلَتْ مِـنْ تِـلاوَةٍ وَمَنْـزِلُ وَحْيٍ مُقْفِـرُ العَـرَصـاتِ[٣٣]